11
دولاب "خزانة الملابس"

لقد ضجّ بما فيه بعد أن كان يشكو الوحدة والفراغ، واشتكى من التخمة بعد أن كان سمته الهزال، ولطالما تمنى أن يشبع ويملأ بطنه من الحلال، ويكون له محبون من الرجال والنساء والأطفال، لكنه اليوم حزين إذ صار يعجّ بمزيد من الملابس والأزياء من كل نوع ولون، ومن كل مقاس وذوق، ومن كل جنس وبلد، ولكل طقس وجوّ، يفتح الأبواب لكل طالب، ويلبي حاجة من أتاه.. لك الله أيها الدولاب الطيب فمنذ وطئت أقدامك أرض الغرفة وأنت تئنّ تحت وطأة الأثقال والأحمال، وتشتاق إلى أيامك الخوالي حين كنت خفيفًا نشيطًا محل أنظار الجميع من الراغبين في الشراء.

الدولاب -يا أصحاب- من أثاث البيت اللازم والذي لا يخلو منه بيت في هذه الأيام، ولا يهمله غني أو فقير، أيّم أو متزوج، رجل أو امرأة. وإن اختلفت أشكال الدولاب وتفاوتت محتوياته إلا أنه قطعة أساسية في جهاز كل عروس، وقد خضع هو الآخر لموجة الموضة وطوفانها القاتل حتى أصبحت منه أشكال وألوان ولم يعد عمله مقتصرًا على حفظ الملابس فحسب، وإنما صار قطعة ديكور جميلة، وتحفة فنية ذات قيمة، وضع فيها صانعه مهارته العالية ودقته المتناهية وذوقه الرفيع، مع بصمات الزخرفة الإسلامية والفنية عليه، ولا ضير في ذلك ما لم يشدنا إلى حد الإسراف المذموم أوالترف الممقوت.

والدولاب يذكرنا بالزينة وستر العورات فقد حوى ما نتزيَّا به ونستتر، كما أنه يحثنا على شكر الله عز وجل بما أنعم علينا من فضل وإحسان، ومن ملابس نتجمل بها ونزدان، ويذكّر القلوب الطيبة بالفقراء من الإخوان. ولا شك أننا جميعا نحب الزينة والجمال.. إلا أن لكل شيء في ديننا ضوابط وشروطًا، وكل نعمة لها نصيبها من الشكر والعطاء والإحسان، وقد بين لنا رسول الله ﷺ ذلك

فقال: **"كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة"**[1] . ولذلك كان إذا استجدّ ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداء ويقول: **"اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره، وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره، وشر ما صنع له"** [2] .

واللباس منه ما هو فرض وما هومستحب، ومنه ما هو مباح ومكروه ومحرم، فالفرض ما يستر العورة ويدفع البرد والحر، قال تعالى: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[الأعراف:31] ، والمستحب مايحصل به أصل الزينة وإظهار النعمة، كما قال رسول الله ﷺ: **"إن الله يحب إذا أنعم على عبد نعمة أن يرى أثر نعمته عليه"** [3]. والمباح هو الثوب الجميل للتزين وخاصة في الجمع والأعياد والمناسبات لقوله ﷺ: **"ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته"** [4] . أما المكروه فهو لباس الكبر والخيلاء كما جاء في الحديث المذكور، واللباس المحرم هو الحرير للرجال، لقول النبي ﷺ: **"حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحل لإناثهم"**[5] .

وينبغي لمن أراد أن يلبس ثيابه أن يتأدب بآداب اللباس فيبدأ باليمين اقتداء بالنبي ﷺ فقد **"كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله"** [6] . وإذا أراد أن يخلعها فليسمّ الله تعالى ويبدأ بالجانب الأيسر، وأن يلبس الرجل الملابس التي تليق به كرجل، والمرأة كذلك تلبس ما يناسبها كامرأة. قال رسول الله ﷺ: **"ليس منا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال"** [7] .

---

(1) رواه البخاري .
(2) رواه الترمذي .
(3) رواه البيهقي .
(4) رواه أبو داود .
(5) رواه أحمد .
(6) متفق عليه .
(7) رواه أحمد .

obeikandl.com

وعلى الجميع الحرص على الاعتدال والقصد وعدم المغالاة في المظهر أو في ثمن الثوب، فالتوسط سمة لازمة لشريعتنا السمحاء. كما أن على كل امرأة مسلمة إذا خرجت من بيتها أن يستوفي ثوبها حقه من الشروط الشرعية له والتي حددها العلماء ولخصوها في:استيعاب جميع البدن إلا ما استثني، ألا يكون الثوب زينة في نفسه، وأن يكون صفيقًا لايشف، فضفاضًا غير ضيق، لا يشبه لباس الرجل ولا لباس الكافرات، وليس مبخرًا أو مطيبًا أو لباس شهرة.

مَن وقف أمام الدولاب ليختار ما يلبس فليتذكر الفقراء والمحتاجين ويعطيهم مما أعطاه الله، وحبذا لو قام كل منا بحملة تزكية لملابسه كل مدة من الوقت فاستغنى عن بعض منها لعارٍ فكساه، أو فقير متعفف فأعطاه، أو يتيم محتاج فسدّ حاجته، وقد حرص الإسلام على ذلك فجعل من الكفارات كسوة المساكين ككفارة اليمين وغيرها، وحث رسول الله ﷺ المسلم على كسوة أخيه وستر عورته فقال: **"ما من مسلم كسا مسلمًا ثوبًا إلا كان في حفظ من الله ما دام منه عليه"** [1]. ومع عظمة هذا الحديث وروعته إلا أن بعضنا قد يتكاسل عنه وعندها تصاب خزانة ملابسنا بالسمنة المفرطة وتحتاج بالضرورة إلى ريجيم! فلماذا؟

ألا يوجد في أسرة كلّ منا محتاج أو فقير؟

ألا يسكن بالقرب منا جارٌ به عوز وفاقة؟

أمَا توجد جمعيات خيرية إغاثية تقوم بهذا الواجب بدلاً منا؟

إن الأمر سهل وليس بالعسير خاصة إذا تذكر كل إنسان رجلاً أو امرأة كان، أنه لن يحق له أن يأخذ معه إلا ثلاثة أو خمسة أثواب حين يخرج من دنياه!!

ومن الدولاب نأخذ درسًا تربويًا نعلمه الأولاد فنحثهم على الإنفاق مما يحبون من لباسهم، تارة بالجديد منها وأخرى بالقديم، مع ضرب الأمثلة لهم بما يعانيه

(1) رواه الترمذي .

إخوتهم الأطفال ضحايا الحروب والصراعات في أى مكان، ومحاولة إدخال البسمة عليهم بكسوتهم خاصة في العيد. وإذا ما امتدت يدي ويداك إلى الدولاب لتلبس وتتزين بما أعطاك الله فقل من أعماق قلبك: **"الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس"**[1] .

(1) رواه الترمذي .

obeikandl.com

12

راديو(المذياع)

إنه يتحدثُ إليك أينما كنتَ وتسمعه حيثما سِرت، ويخاطبك بكل اللغات.. يسمعه المتعلم والأمّي.. الرجل والمرأة.. الكبير والصغير.. لذلك فهو يشارك في صياغة الأمة، ويساعد في صنع النهضة، إذ يبني فكرًا، وينمي عقلاً، ويغرس غرسًا.. ومن هنا كانت أهمية الإذاعة لأنها اللسان الناطق لكل شعب، والصوت المسموع الذي يتحدث بلغة كل أمة، وبناء على هذا فقد أنشئت المحطات الإذاعية المتعددة لتنقل لي ولك ما يدور حولها من أحداث محلية وعالمية تصلنا بالداخل والخارج، ولتبث لنا عبر الأثير ما يجهز فيها من مختلف البرامج الثقافية والترفيهية والدينية، لذا فقد يزرع هذا المذياع في نفسك الطمأنينة والثبات، أو يلقي في روعك الفزع والاضطراب تبعًا لما يذيع لك من أخبار وحكايات، وأفكار وروايات، أنت في حقيقة الأمر مخيّر في أن ترهف لها السمع أو تسمعها بلا إنصات.. وكأني به وهو يناديك ويتحدث إليك وجهًا لوجه ليكلمك بتلك الكلمات مارًّا بكل الجبهات، فمن محدّث بليغ إلى خطيب بارع، أو مذيع للأخبار فصيح، ومن لغو الحديث ولهوه إلى آي من الذكر الحكيم، ومن أنشودة عذبة إلى خبر حزين، وهكذا له حال في كل حين يعرفها القريب والبعيد، إلا أن هذا لا يعفيك من المسئولية عند الاختيار، وما عليك إلا أن تضع يدك على مفتاحه وتضغط برفق لتحصل على ما تريد! إنه سلاح فعال أكيد ومؤثر إلى درجة ما كبيرة، وقد كان إلى زمن غير بعيد مصدرًا أساسيًا لمعرفة آخر الأنباء، ومنبعًا لمختلف الثقافات والمعارف، والعلوم والآراء، يمدك بما ترغب وأنت في هذا كغيرك، إذ الكلّ مشدود إليه، معجب

بفصاحته وبيانه وحديثه إليهم بدون لسان! نعم.. إنه ذاك الجهاز المسمى **"بالراديو"** أو قُل **"المذياع"**.

وبالرغم من ظهور بدائل في العصر الحديث أكثر إثارة منه وأعلى تقنية، تجعلك تعيش مع الأحداث صوتًا وصورة ونقدًا وتحليلاً إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر تلك الحقبة التي كان فيها المذياع هو الأصل والأساس، ولا زال له تلك المميزات التي تؤهله للخدمات الميسرة للناس، فمثلا تجده تزود به كافة السيارات فتسمعه بيسر وسهولة دون أن يعوق عن قيادتها، كما يمكن حمله لصغره في الجيب أو في حقيبة اليد في أي مكان، وقد تطور بدوره وسار مع موجة التطور التكنولوجي كغيره من الأشياء حتى أصبح منه المُحلّى بالساعة والمُصاحِب للمسجّل، والملحق بالتليفون المحمول، بكل الأحجام والألوان والأشكال.

أما ما يحويه من درر البيان والحكمة والتبيان ففيه من العجب ومن الخير الكثير، وكفي هذا الجهاز فخرًا أنه يتحلّى بإذاعة خاصة بالقرآن الكريم تحيا معه ليل نهار، كما أنه يمكن أن يسخر لتربية النشء بطريقة سليمة من خلال توعية الأسرة التوعية الصحيحة، وهو ينقلك من عالمك الذي تعيشه إلى عالم آخر ترى فيه الناس من خلال الكلمات، وتعيش مع إخوانك في كل مكان تعرف أحوالهم وتطلع على ما يؤلمهم ويكدر صفو حياتهم فتتداعى لهم وتدعو، وتشاركهم وتخفف من معاناتهم، وبالرغم من توالى الأحداث في هذه الأيام وسرعتها العجيبة وتغير الأحوال بطريقة ملحوظة إلا أن بإمكانه إيصال الصورة كاملة غير منقوصة، وتلك له حسنة وميزة. هذا عن الجانب الإيجابي فيه.. فماذا عن الوجه الآخر لهذا الجهاز؟

في الحقيقة إنه كغيره من وسائل الإعلام، والجهاز نفسه لا غبار عليه ولا تعليق، إنما النقص قد يطرأ على ما يقدم فيه من مواد هي خلاصة عادات الشعوب وتنبع من معتقداتهم وتتبع دينهم ومنهجهم في الحياة، مما يجعل هذه المواد في

حاجة مستمرة للتنقية والتنقيح بوعي وإدراك وعلم وبصيرة، وهذا يتطلب من المسؤولين تطوير ما يقدم فيه باستمرار وإيصاله للمستمعين بطريقة مبتكرة، مع إيجاد الكفاءات العالية للعمل في هذا المجال، والتدريب المستمر لها المصاحب للحد الكافي من العلم لأداء رسالتهم تلك، وبذلك يكون الراديو وأمثاله أدوات بناء لا هدْم، ووسائل علم لا جهل، وتقدم وحضارة ومدنية، كل ذلك باستقلال تام دون تبعية لشرق أو لغرب، بل بما يناسب ديننا نحن وعاداتنا وتقاليدنا الأصيلة إذ الكلمة أمانة ومسئولية.

من استمع لما ينقله المذياع من شتى البلدان يجد له لسانًا يتحدث لصالح من أطلق له العنان دون ملل أو كلل، ومن هنا كان للراديو آفات تنتج عن سوء الاستخدام، وله أمراض تحتاج منا إلى تشخيص وعلاج، وإذا أردنا أن نلقي نظرة على بعضها لوجدنا أقربها وأسرعها إلى الأذهان مرض الأفكار السرطانية التي قد تبُث بحجة الإصلاح والتغيير مما يستدعي ويتطلب منا الحذر من أن تكون هذه القنوات ثغرة لأي عدو ينفذ من خلالها وينقل عبر أثيرها ما يشاء فيسمّم الأجواء بمزيد من السموم التي تزكم الأنوف من أفكار خاطئة تسلك الطريق لغزو العقول خاصة في محيط الأطفال والشباب إن لم يكن عندهم حصانة دينية ضد ما يقال، فتحدث فيها الخلل والبلبلة وذلك لأنها أفكار مستوردة ليس لديننا فيها نصيب، وهي مرفوضة من كل ذي دين حصيف. وخذ مثالاً على ذلك فإذاعة "سَوَا" الأمريكية التي استهلت بثها المباشر في مارس 2002 م على موجة إف إم، وهي تبث برامجها باللغة العربية الفصحى وبعدة لهجات محلية، هدفها في المقدمة شباب العالم العربي، وتقدم لهم كافة البرامج من أخبار وأغاني وموسيقى لكن على الطريقة الأمريكية!

كما يجب أن لا نغفل أيضًا عن مرض الشائعات الخطير، وما أسرع عبورها من خلال قنواته، يقوم بافتعالها المرجفون، ويروج لها المغرضون، وتبلغ الذروة في

الخطورة إذا ما تحولت إلى حرب نفسية تؤجَّج وقت الفتن والحروب، وما أكثر تأثيرها حينئذٍ على السامعين الذين يتلقونها دون تثبت أو تبيان، ويتناقلونها فيما بينهم في المجالس والطرقات، وما أشد خطورة الاستماع إلى تلك الأراجيف، وقد ذمّ الله تعالى قوما كانوا لا يبالون ماذا يستمعون بل ويكثرون من سماع الكذب والباطل، وربط سبحانه وتعالى بين ذلك السماع وبين أكل السحت فقال: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:42]. فينبغي أن يتذكر المرء منا أن لأذنه رسالة، وأنها مسئولة أمام الله، وأن للسماع آدابًا وأحكامًا تنهانا عن تصديق كل ما يقال أو يلصق بالغير ربما زورًا وبهتانًا، وإذا ما سمعنا فلنتأدب بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات:6].

وأخيرًا فإن دور القائمين على تلك الإذاعات عظيم وهم مسئولون أمام الله تعالى عما يقدمونه للناس، لأنهم على ثغرة من ثغرات الإسلام فليقدموا للناس الحقائق جميعها بشفافية وصدق دون زيف أو خداع خاصة فيما يتعلق بمصائر الشعوب ومصالح الناس فيها، حتى لا يتكرر ما حدث في أيام نكسة 1967 م حين عاش الناس في سكرات النصر المزعوم المبثوث لهم عبر موجات المذياع حتى فوجئوا بالحقيقة المرّة المناقضة تمامًا لما سمعوه وتلقوه مشافهة من مختلف الإذاعات الخاصة بنا، وليحذروا أن يؤتى الإسلام من قبلهم، وليعلموا أنهم في مجال دعوة وجهاد بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والفكرة الصحيحة المضادة لكل غزو فكري مضلل يقال أو يذاع ليس بالضرورة في قنواتنا المحلية بل في أي قناة أخرى، فغاية رسالتنا تصحيح الأفهام وجلاء الأذهان وتعبئة القلوب بما ورثناه عن أسلافنا الأعلام من هذا الدين الصالح لكل زمان ومكان.

13

ساعـــة

يحرص بعض الناس على أن يضع ساعة كبيرة في صدر المنزل يراها كلما غدا أو راح، قد تكون للزينة بشكلها الجميل، وقد تكون هامة لمعرفة أوقات العمل والدوام، ومنهم من يراها جزءًا مهمًا وضروريًا لإكمال الديكور!

فهل تذكرنا تلك الساعة بشيء ما؟

وهلا تفكَّرنا كلما نظرنا إليها فاستنتجنا شيئًا؟

إن دقاتها المنتظمة تشبه إلى حد كبير دقات قلوبنا!

كما أن هناك ارتباطًا وثيقًا بينهما.. فمع كل حركة عقرب من عقارب الساعة، ومع كل دقة قلب ونبضة من نبضاته يهتف بنا الجميع:

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثواني.

ثم إنه قد يأتي على تلك الساعة لحظات تضطرب دقاتها وتحتاج إلى شحن أو بطارية، أو صيانة وإصلاح وإلا تعطلت عن عملها وتوقفت عن مهمتها، كقلوبنا تمامًا حين تصدأ ويعلوها الران ولا يجلوها حينئذٍ إلا ذكر الله عز وجل والعودة إليه سبحانه.

أول من اخترع الساعة هو العالم المسلم **"عباس بن فرناس"** وسماها **"الميقاتة"**، وقد أهدى الخليفة هارون الرشيد سنة 191هـ ساعة إلى أحد ملوك أوروبا وكانت مصنوعة من النحاس الأصفر بمهارة فنية عالية.

كانت الساعة ولا زالت أداة تنبيه للمرء للمحافظة على وقته وتنظيم شئون حياته، فبها يعرف العامل وقت عمله، والطالب وقت دراسته، وبها يحدد الطبيب

obeikandl.com

للمريض موعد تناول دوائه ليحافظ عليه، كما يعرف بها الآن مواقيت الصلاة ، ومواعيد السفر، وغير ذلك من حاجات وضرورات لا غنى لنا عن الساعة فيها.

وإذا كان في الساعة ستون دقيقة، وفي الدقيقة ستون ثانية، إلا أن كل ثانية تمر من عمر الإنسان لها قيمتها ولا يستطيع أن ينكر ذلك إلا معاند أو غافل لاه.

وكما قيل: إذا كان من السنّة أن يؤذن في أذن المولود اليمنى وتقام الصلاة في الأذن اليسرى فكأن الشارع الحكيم يقول له: يا ابن آدم إن عمرك كما بين الأذان والإقامة!

وكما قال الشاعر:

يَسُرُّ المرء ما ذهب الليالي

وكان ذهابهن له ذهابا.

ولذلك يقول ابن القيم - رحمه الله-: السنَة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة.

وكان الحسن البصري - رحمه الله- يقول :عجبًا لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم وهم قعود يلعبون .

تأتي على الإنسان ساعات مختلفة في حياته يتقلب فيها بين الخير والشر، والصحة والمرض، والعافية والبلاء، وقد يعايش فيها الضدين في آن واحد، فمن ساعات الفرح والسعادة كالأعياد والمناسبات السارة من نجاح أو زواج أو بشارة بمولود، والتنعم بنعم الله من رزق حسن وصحة بدن وقرة عين بذرية طيبة، إلى ساعات الابتلاء أيًّا كان نوعه من مرض أو فقد عزيز، أو ضياع مال أو ذهاب منصب، أو أيّ نوع من أنواع الحرمان، ولا يسَع المؤمن إلا أن يكون راضيًا شاكرًا في حالات الرخاء، وراضيًا صابرًا محتسبًا في حالات البلاء، وبذلك يتحقق إيمانه الذي هو قسمان، شكر وصبر.

obeikandi.com

وقد وردت كلمة (**ساعة**) في القرآن الكريم، كما وردت في السنة المطهرة، فتارة تأتي تذكّر الإنسان بأجله المحتوم الذي لا يؤخر، كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:34].

كما يأتي ذكر (**الساعة**) في القرآن الكريم كاسم من أسماء يوم القيامة، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد:18].

وكذلك ذكرت كلمة (**ساعة**) في مقام الحشر ووقت الحساب، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس:45] .

هيا بنا نؤمن ساعة: لذا فإنه من الواجب على المرء أن يقسم أوقاته إلى ساعات، وأن يجعل لكل ساعة نصيبها من العمل، فساعة لنفسه يصلح من شأنها، وساعة لأهله يقوم بحقوقهم، وساعة لربه يناجيه فيها، وينبغي كذلك ألا يخلط بين وقت الهزل والجد، وإنما لكل ساعة عملها، وإذا أراد أن يروّح عن نفسه ففي ديننا فسحة وقد قال النبي ﷺ: "**ساعة وساعة**"[1] .

إن المسلم يرتبط بهذا الكون ارتباطًا وثيقًا، وكل شيء فيه يذكره بخالقه وبالمهمة التي من أجلها خلق، وإذا كان البعض ممن يحتفلون برأس السنة الميلادية، ينتظرون بفارغ الصبر ميلاد عام جديد ببلوغ الساعة الثانية عشر ليلاً، وهم في لهوهم ولعبهم يخوضون، حتى إذا ما دقت الساعة بدؤوا يومهم وعامهم الجديد بلهو أكبر ولعب أكثر شأنهم شأن الفارغين الذين لا يعبؤون بساعات أعمارهم ويفرحون بالسنين وهي تقطعهم، فيختمون عامًا مضى بالمعاصي ويستقبلون ما أتى باللهو!

(1) رواه مسلم .

أما الذين أنعم الله عليهم من عباده الصالحين فإنهم يختمون عامهم بالاستغفار والتوبة، ويبدؤون يومهم بذكر الله وبالصلاة، وينهونه مع غروب شمسه بالتسبيح، تتعاقب عليهم ملائكة الليل والنهار وهم على ذلك، ومع تنفس كل صبح جديد همّة واغتنام للأنفاس والثواني واللحظات، وهكذا كل ساعات المؤمن إما في عبادة تزيد من اليقين أو في عمل نافع من أمور دنياه يصب في وعاء الدين وهو مع هذا أو ذاك في طريقه إلى الله يسير، وكل أعماله في ميزان حسناته التي تربو وتزيد.. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت:46].

ورحم الله الحسن البصري حين قال: **(ما حليت الجنة لأمة ما حليت لهذه الأمة ثم لا ترى لها عاشقًا)**

فكن من عشاق الجنة.. فالدنيا ساعة.. اجعلها طاعة.

obeikandl.com

14

ســـتارة

أسكن في بيت متواضع من البيوت البريطانية، وأذكر أنني حين قدمت لهذا البلد منذ زمن هالني وأزعجني منظر نوافذ الغرف في البيت، إذ أنها تختلف اختلافًا كبيرًا عنها في البيوت العربية، وقد تشغل واجهة كاملة من نواحي الغرفة، وكلها من الزجاج الشفاف الذي يظهر ما خلفه من الخارج ويكشف ما أمامه من الداخل مما يعطيك الإحساس أنك تعيش في الشارع، فكل شيء مكشوف ما لم تكن على النافذة ستارة!

إن الستر بلا شك نعمة عظيمة من الله تعالى، وكم نحتاج جميعنا لستره فيسترنا، ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من فقدها، لذا كان من دعائه عليه الصلاة والسلام **"اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي"**[1] .

إن كشف العورات شيء مؤلم مخزٍ يقضّ مضاجع الآمنين فيعيشون في رعب أشبه بالموت وما هو بالموت، لذا فقد قال الرسول ﷺ: **"من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة "** [2] .

من فقد نعمة الستر ولو للحظات أحس بعظم جريمة هتك ستر الناس وتتبع عوراتهم، وعرف مغزى ذلك الوعيد لهاتكي الأستار في قول الرسول ﷺ: "من كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته"[3] ، ومن رأى

(1) رواه أحمد .
(2) رواه أبو داود .
(3) صحيح ابن ماجه .

إخوانه المدنيين في الأراضي المحتلة حين تهدم بيوتهم، وتهتك أستارهم، ويقتحم عدوهم المحتل حرمتهم بلا أقل اكتراث، معرِضًا عن أدنى حقوق الإنسان من الستر المطلوب، وكذلك غيرهم من المشردين في أنحاء الأرض، وهم جميعًا يفترشون الأرض ويلتحفون السماء يأسَ ويحزن لحالهم، ويودّ لو يستطيع سترهم، وينكر ذلك العبث بحقوق الآخرين، ويشعر في قرارة نفسه بفضل الله عليه حين جعل له بيتًا يأوي إليه ويستتر فيه، كما قال في كتابه الكريم: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل:80] .. أي سكنًا تأوون إليه وتستترون به.

والستر: يعني التغطية، ومنه الستارة، وهو إخفاء ما يظهر من عورات الناس وزلاتهم وعيوبهم، والله تعالى يحب الستر، ففي الحديث الشريف: **"إن الله – عز وجل – حيي ستّير يحب الحياء والستر"** (1) . وهو سبحانه يستر عباده المؤمنين يوم القيامة كما يسترهم في الدنيا.. قال رسول الله ﷺ: **"يدنو أحدكم من ربه، حتى يضع كنفه عليه، فيقول أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: إني سترتُ عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم"** (2). وحث رسول الله ﷺ على ستر المسلم أخاه، ورغب في ذلك، وبين جزاءه فقال: **"من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة"** (3) .. فلا أقلّ من أن تكون كالستارة في وظيفتها من ستر ما ينكشف من عورات!

ومن الستر: ستر المرء عورته عن أعين الغير.. لقول رسول الله ﷺ: **"احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك"** (4) .

---

(1) رواه أبو داود .
(2) متفق عليه .
(3) رواه ابن ماجه .
(4) رواه أبو داود .

ستر الأعمال الصالحة: بأن تجعل لك خبيئة من عمل صالح بينك وبين الله تعالى، من صدقة أو قيام أو غيره، ففي الحديث: "صدقة السر تطفيء غضب الرب"[1].

ستر المرء ذنوبه: قال رسول الله ﷺ: **"كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره ربه فيقول: يا فلان، قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عليه"**[2].

ستر الأسرار الزوجية: لقوله عليه الصلاة والسلام: **"إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشر سرها"** [3].

ستر الميت: لقول النبي ﷺ: **"من غسل ميتًا فكتم عليه غفر الله له أربعين كبيرة، ومن حفر لأخيه قبرًا حتى يجنّه (أي يستره) فكأنما أسكنه مسكنًا حتى يبعث"** [4].

الكفر و الذنوب ستائر تغطي القلوب: وكما تستر الستائر العورات فإنها قد تحجب بعض الضوء والنور لا سيما إن كانت صفيقة وكثيفة، حالها حال من يسترون نوافذ قلوبهم ولا يسمحون للنور بالعبور إليها، فيعيشون في الظلام!

وقد ذم الله من أغلق قلبه دون الإيمان والهدى، وحجبه عن سماع الحق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة:88] أي مغشاة بأغشية لا تعي ما تقوله يا محمد.. وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:155].

(1) رواه الطبراني .
(2) رواه البخاري .
(3) رواه مسلم .
(4) رواه الطبراني .

obeikandl.com

أما عن الذنوب فقد قال رسول الله ﷺ: "إن العبد إذا أذنب ذنبًا كان نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل، وإن زاد زادت، فذلك قوله تعالى: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"[1] .

هذه هي الستارة التي نزين بها نوافذنا وبيوتنا ونستتر بها من عيون المتطفلين.. قد يبالغ البعض في تصميمها وقد يسرف في الإنفاق عليها لكنها في النهاية ستارة لا غنى لنا عنها ولا عن معناها، وما أحوج المرء منا أن يكون لأخيه كالستارة.

وإذا كنا جميعًا نعرف دور الستارة في الستر إلا أن كلاً منا يطمع ويتمنى أن يُرفع الحجاب بينه وبين رب العزة جل وعلا يوم الفوز بجنته ورضوانه، لينعم بالقرب منه ويرى وجهه الكريم لا يحجبه عنه شيء، كما روي عن رسول الله ﷺ حين قرأ **"للذين أحسنوا الحسنى وزيادة"** فقال: **"إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون:ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة "** [2] .

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه مسلم .

obeikandl.com